ثقافة الحوار والاختلاف في ضوء نظرية دوامة الصمت دراسة الحالة اليمنية

عبدالله عمر بخاش

المؤتمر العلمي الثاني عشر «الإعلام والسلم الأهلي»
كلية الاعلام بجامعة بغداد ٢٢-٢٣ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٩

المقدمة:

شهدت اليمن تحولات هامة في أعقاب ما يعرف بانتفاضات الربيع العربي ٢٠١١، حيث ارتفاع سقف حرية التعبير والمشاركة في نقاشات الشأن العام، لتبقى حرية التعبير هي التحول الأبرز والأكثر أهمية في انتفاضة الشباب اليمني. لذا فإن منطلق هذه الدراسة وتركيزها على هذا التحول المتمثل في رغبة الناس تجاوز حاجزي الصمت والخوف ورغبتهم للتعبير عن آرائهم السياسية، وخوض المناقشات العامة بالاستفادة مما توفره بيئة الاتصال الجديدة من إمكانات ديمقراطية للنقاش الحر والتعبير عن الرأي. لذا تكمن أهمية الدراسة في ارتباطها المباشر بواحد من أهم الحقوق الإنسانية، وهو حرية التعبير، الذي يعني التنوع في الآراء والأفكار والاتجاهات، وحصولها على ذات الفرصة للتعبير عنها والنقاش بشأنها، بغض النظر عن مسألة اتفاقنا أم اختلافنا معها. كما أن انطلاقها من نظرية دوامة الصمت التي تتحدث عن تهديد المجتمع للآراء المخالفة ودفعها للتطابق مع رأي الأغلبية أو الصمت خشية العزلة الاجتماعية، يمنحها أهمية خاصة لدراسة الرغبة في ابداء الرأي والقبول بالنقاش والاختلاف في سياقات اتصالية متغيرة.

إشكالية الدراسة

في ضوء ما سبق، تتحدد إشكالية الدراسة في محاولة التعرف على مدى رغبة المبحوثين واستعدادهم لإبداء آرائهم والنقاش بشأن قضايا الأزمة اليمنية في وضع متأزم وعدائي، والى أي مدى ساهمت هذه البيئة الجديدة في تدعيم عملية الصمت أم في اتجاه السماح بالمزيد من حرية التعبير؟

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة الى التعرف على توقعات المبحوثين لردود الفعل من أنصار الاتجاه الاخر في حال اختلاف الرأي معهم في قضايا الأزمة اليمنية، ومدى استعدادهم لإبداء آرائهم في سياق جدلي مأزوم، تتباين فيه الاتجاهات وتتعاظم فيه الاستقطابات السياسية.

تساؤلات الدراسة

١) ما توقعات المبحوثين لردود الفعل من أنصار الاتجاه الآخر في حال اختلاف الرأي معهم في قضايا الأزمة اليمنية؟
٢) ما مدى استعداد المبحوثين لإبداء آرائهم نحو قضايا الأزمة اليمنية ومشاركتها الآخرين؟
٣) ما طبيعة العلاقة بين رغبة الإفصاح عن الرأي وتلقي ردود الفعل المخالفة من أنصار الاتجاه الآخر؟

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة المنهج المقارن لعقد المقارنات العلمية بين نتائج ثلاث دراسات مسحية، أجريت ضمن اهتمام بحثي جرى تنفيذه خلال فترة ممتدة زمنياً ٢٠١٣-٢٠١٨ بهدف رصد رغبة المبحوثين في الحوار والنقاش بشأن قضايا الازمة اليمنية في ظل تحولات الفضاء الاتصالي في اليمن، ومدى تقبل الآخر للاختلاف في الآراء والاتجاهات.

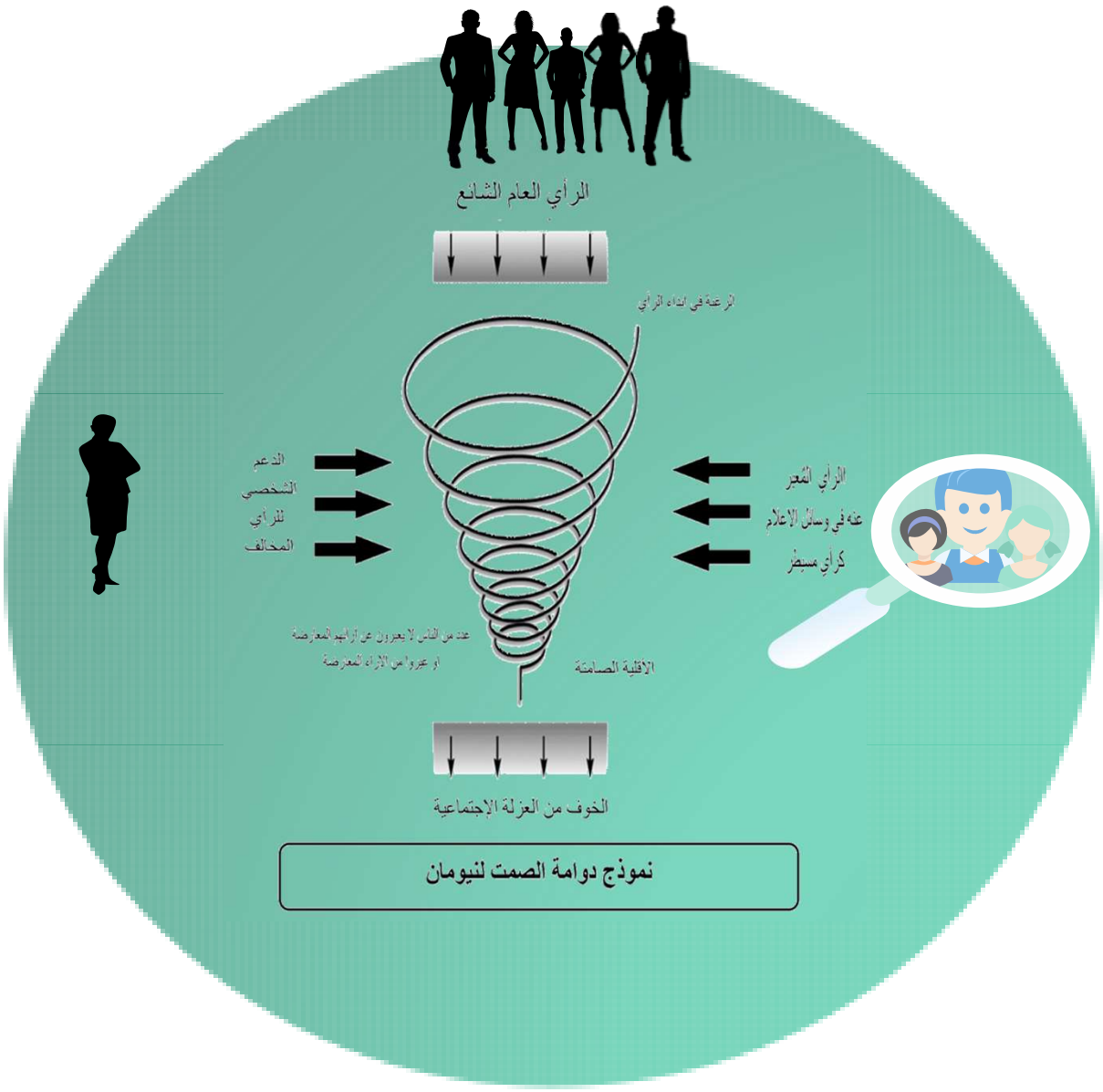

التهديد بالعزلة الاجتماعية

أداة المجتمع لردع الخارجين عن الاجماع؛ بهدف ضمان تماسكه الاجتماعي

الخوف من العزلة الاجتماعية

يدفع الفرد لتكوين رأيه وسلوكه مصبوغاً بخشيته من أن يصبح معزولاً اجتماعياً، لذا فإنه ينشد التوافق

الحاسة شبه الإحصائية

نتيجة الخوف، يسعى الأفراد إلى مراقبة مناخ الرأي باستمرار، بحثا عن مؤشرات لتوزيع الآراء في المجتمع

الرغبة للتعبير العلني

يميل الأفراد لإبداء آرائهم إذا أدركوا انها هي السائدة، ويميلون الى الصمت اذا كانت تنتمي لرأي الأقلية

دوامة الصمت

عندما يميل فرد الى ابداء رأيه مقابل ميل الآخر الى التزام الصمت تنشأ عملية الدوامة، التي تتوج هيمنة رأي وغياب أخرى

الخوف والاختلاف في سياق الجماعة المرجعية

جماعة الأسرة والأقران

- تعد في مقدمة الأطر المرجعية التي تشكل وعينا
- تعمل مجالس القات في اليمن كفضاء تواصلي متجدد
- ترسخ الأمثال الشعبية ثقافة تقبل الواقع ومسايرة الجماعة

المرجعيات القبلية

- الانتماء للقبيلة لم يمنع تعدد الانتماءات السياسية ضمنها
- انخراط القبيلة في الاحتجاجات السلمية ضد النظام ومعه-
- استثمار السلطة لدور القبيلة كمرجعية ضبط عبر وثيقة الشرف القبلي

المرجعيات العقدية

- تحول منابر المساجد الى مصانع لإنتاج الهويات المأزمة
- اطلاق فتاوى التكفير بحق المتمردين على الثالوث المقدس الدين والسياسة والجنس
- استدعاء الدين وتوظيفه سياسيا كمرجعية لضرب الخصوم

الخوف والاختلاف في سياق وسائل الإعلام

➢ الوصم الاجتماعي

تغذي وسائل الاعلام عمليات تشويه الآخر ووصمه بأقذع الألفاظ والنعوت المشينة، كما تعمد إلى تزييف الحقائق وتحريفها لمجرد تمرير التهم وإلصاقها به، وتأليب الرأي العام ضده. وهي بذلك تعمل على تباين المجتمع وتشجيعه على فرز أعضائه وفقاً للصور النمطية التي ترسمها وسائل الاعلام في عقول الجماهير، مما يعني تكريسها لمنطق الإقصاء والنبذ الاجتماعي.

➢ التحريض على الكراهية

لا شك إن خطابا إعلاميا مشحونا بالحقد والكراهية ضد الآخر، وبمفردات الانتقاص والتمايز سيشعره بالوحدة والعزلة وبغض المجتمع له، وسيثير مخاوفه من حساسية المجتمع ووسائل إعلامه منه، وهو ما سيدفعه في الأخير إلى محاولة تحاشي الاصطدام المباشر به.

➢ التحريض على العنف

دأبت وسائل إعلام كل طرف على تأطير الآخر وتصويره في موضع العدو، في خطابٍ لا يؤجج الصراع الطائفي فحسب، لكنه يشرعن للعدوان والعنف من خلال شيطنة طرف وأنسنة آخر. ويصبح الأمر أكثر خطراً بالتحريض المباشر عبر وسائل الاعلام لاجتثاث الخصوم واستباحة دمائهم وأموالهم وديارهم.

➢ تقديم صوت الأغلبية

تنجح وسائل الاعلام في تأكيد ذلك باستخدام سياسة الحشود، التي تقدم صورة مضخمة للواقع، تساعد في تحقيق تأثير سلوك القطيع Herd Behavior لدى الجمهور المتلقي، إذ يجد فيها تعبيرا عن صوت الأغلبية في المجتمع، وسيكون السلوك الأكثر احتمالا مسايرة الاتجاه الأكثر شعبية وحضورا والاندماج فيه بدلاً من الوقوف وحيداً

الخوف والاختلاف في سياق الشبكات الاجتماعية

١. ينتقل الناس بثقافاتهم وسلوكياتهم الاجتماعية الى الفضاء الافتراضي، بعيداً عن ثقافة الحوار والنقاش العقلاني، فتحول إلى ساحةٍ أخرى لممارسة الهيمنة والتسلط والارهاب الفكري، وهو ما يحيل الفضاء الافتراضي إلى مرتعٍ خصبٍ لانتعاش ثقافة الكراهية والعنف ضد الآخر.

٢. تحتدم المعارك الافتراضية، ويحدث التداعي السريع لأنصار طرف ما لقمع المخالفين، وممارسة أعمال البلطجة الإلكترونية لإفساد النقاش العام، والتشهير بالمنشور وكاتبه، في صورة تحقق إرهاباً للمتابعين

٣. الخوف من رقابة الآخر، والتعرض لأذية كتائب الذباب الإلكتروني، والخشية من انتقال العنف اللفظي في العالم الافتراضي إلى العالم الحقيقي يعمل على تدعيم صمت المستخدم

أجـرى الباحـث ثـلاث دراسـات علميـة، باسـتخدام مـنهج المسـح لعينـة مـن الجمهور، ضمن فترة ممتدة زمنياً لاختبار دوامة الصمت في البيئة اليمنية. فيما يلي أبرز النتائج والاستنتاجات المتعلقة بمقارنة متغير التهديد بالعزلة الاجتماعية ورغبة المبحوثين في ابداء آرائهم بشأن قضايا الأزمة اليمنية.

نتائج الدراسة

ارتفاع توقعات المبحوثين بعدائية الطرف الآخر وعدم تقبله لوجهات النظر المخالفة لآرائه تعكس طبيعة مناخ الحريات العامة والسياقات السياسية والاجتماعية والثقافية المتأزمة. فإشاعة قيم الحرية والعدالة والمساواة ارتبطت بها توقعات المبحوثين بعدم عدائية الاخر وتقبله للحوار والنقاش والجدال العقلاني، والعكس صحيح تماما.

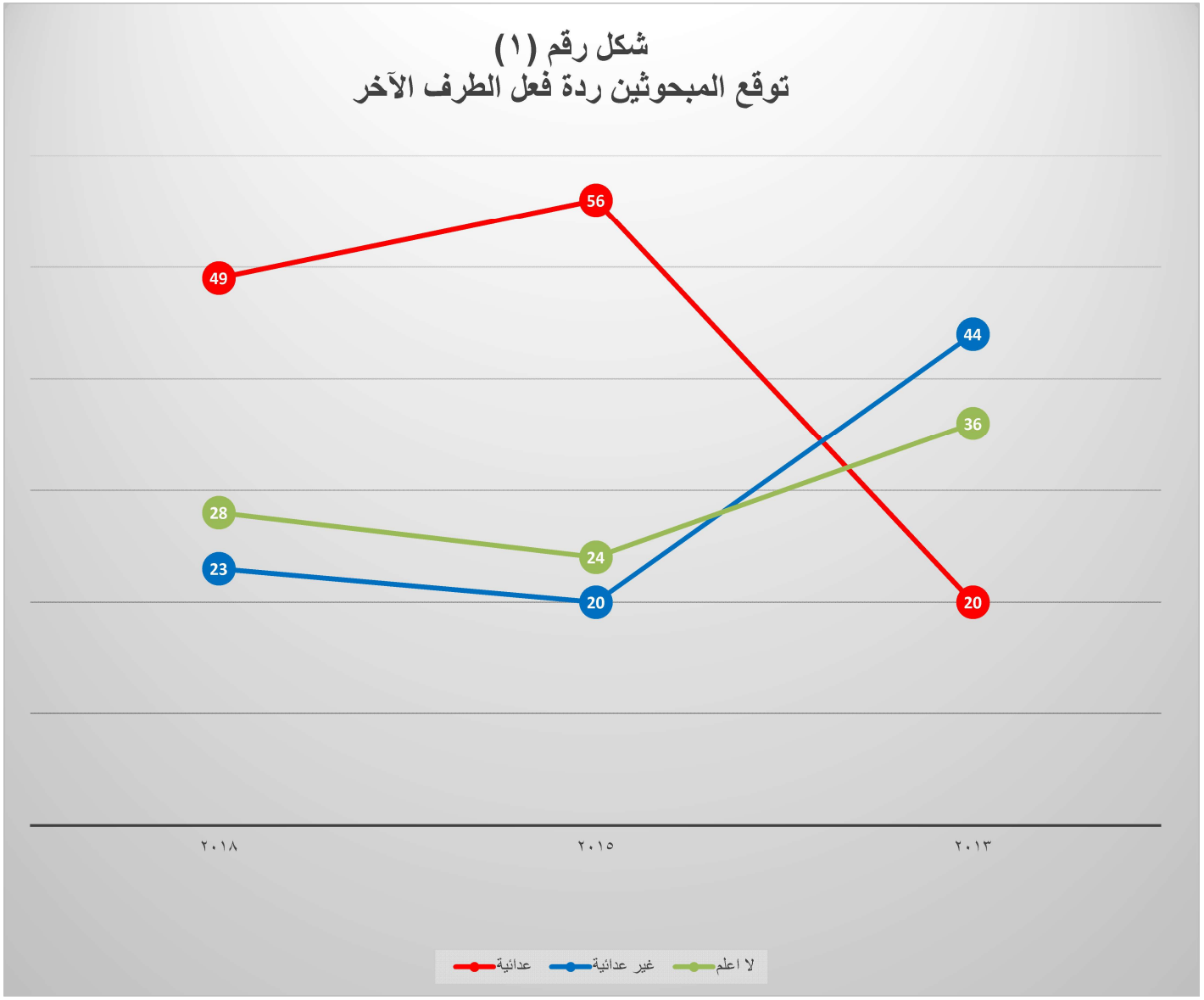

نتائج الدراسة

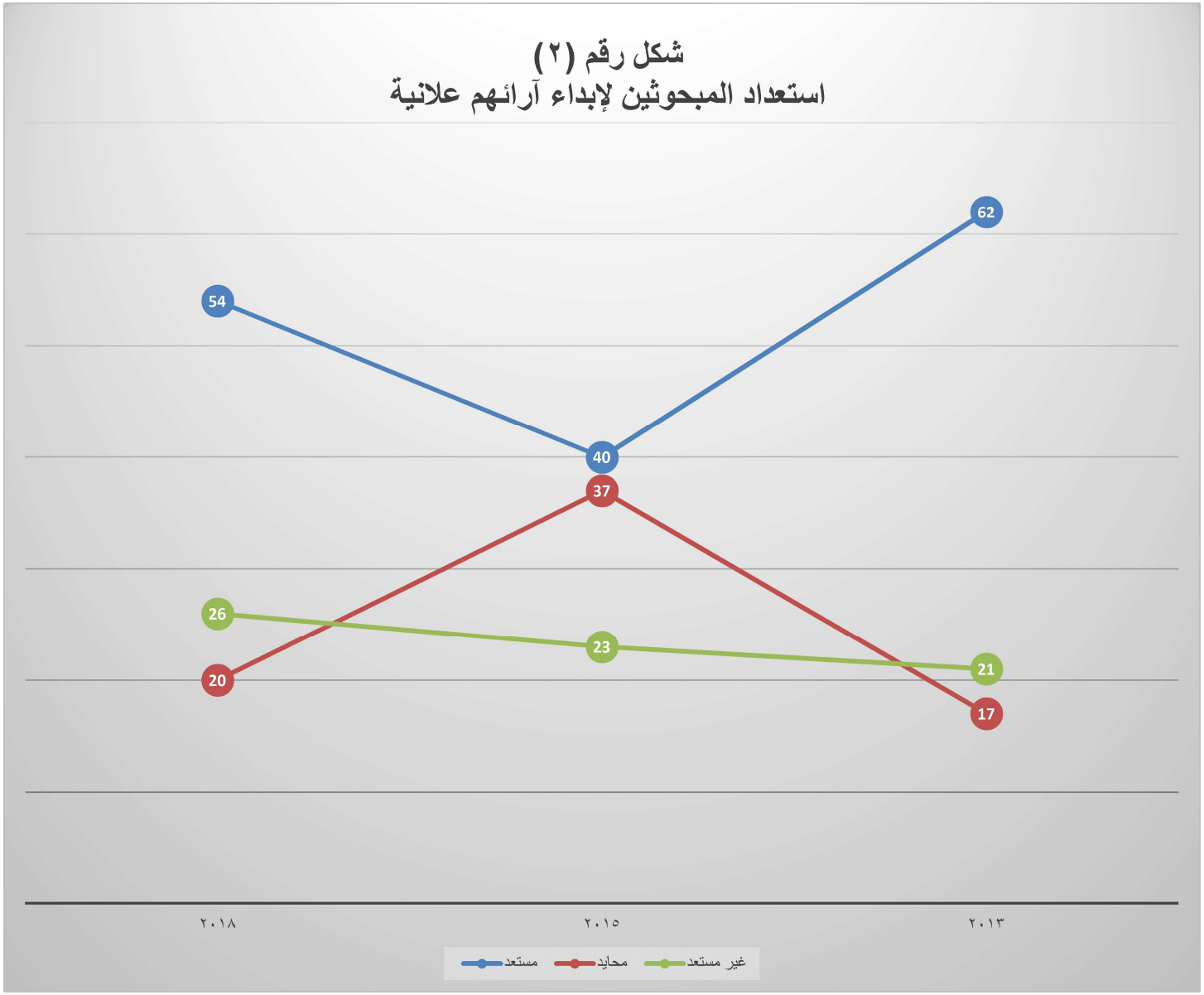

رغبة الناس في الحديث والنقاش العلني تأثرت كنتيجة منطقية بحالة الاستقرار السياسي في المجتمع أم باحتقانه وتأزمه.

فالحرية أكسجين الشعوب، تختنق فضاءات التعبير بكتمه والتحكم فيه. وتتشوه جماليات الحياة بغياب التنوع الثقافي، وهيمنة لون واحد على المجال العام.

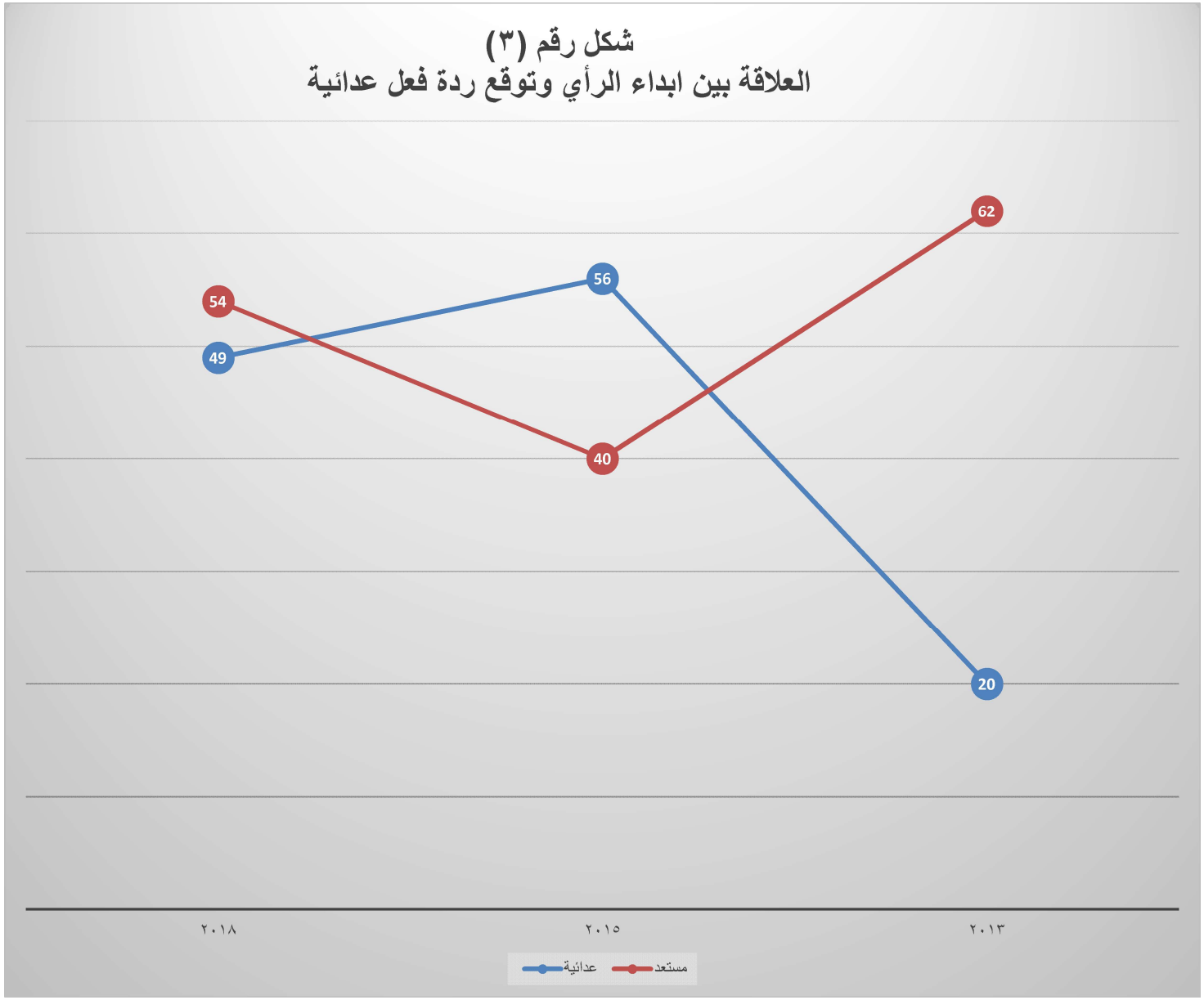

نتائج الدراسة

ارتفاع رغبة المبحوثين في ابداء آرائهم ومشاركتها الاخرين في فضاء من الحوار والنقاش وتقبل الاختلاف في الرأي جاء مقترنا بانخفاض توقعاتهم بتلقي ردود فعل عدائية، في حال الإفصاح عن آرائهم التي تخالف وجهات نظر الاخرين، والعكس صحيح

شكراً

لحسن اهتمامكم ومتابعتكم

عبدالله بخاش